فكاهات

الزوج الخيالي [1]

لكتّاب الانكليز في الرحلات والاسفار اقاصيص غريبة ونوادر عجيبة يتوق المرء الى مطالعتها والتفكه بتلاوتها ونحن الآن موردون شيئاً من هذا القبيل نقلاً عن كتاب وضعهُ المؤلف الشهير وشنجتون ارفنج الاميركاني وضمنهُ ما شاهدهُ اثناء رحلتهِ في البلاد الانكليزية

حدّث الراوي قال شخصت مرةً الى بلاد الفلمنك وبينما انا اتجول في انحائها متنقلاً من بلدةٍ الى اخرى مررت بقرية صغيرة ذات مناظر جميلة فألقيت فيها عصا الترحال وكان قد اقبل المساء فقصدت فندقها لاستريح من وعثاء السفر واتناول شيئاً اسد بهِ رمقي . فلما دخلت ردهة الطعام لم اجدْ فيها احدًا لان جميع المسافرين كانوا قد فرغوا من العشاء وذهب كلٌّ الى مضجعهِ فجلست ولا انيس لي في احدى زوايا الردهة وكان ينيرها مصباح ضئيل . ولما فرغت من الطعام شعرت بأن الليل سيطول عليَّ في تلك الوحدة فناديت صاحب الفندق وطلبت منهُ ان يأتيني بشيءٍ من الكتب والجرائد اتعلل بهِ فأحضر لي توراةً باللغة الهولندية وتقويماً وعددًا من الجرائد الفرنسوية القديمة العهد . وبينما كنت اتصفح احداها وانا بين يقظٍ ونائم فلا اجد فيها الا اخبارًا ساقطة وانتقادات تافهة كانت تطرق اذني من حين الى حين اصوات ضحك يظهر انها كانت صادرة من جهة المطبخ . وكل من ساح في البلاد يعلم كم يلذ للمسافرين الذين من الطبقة الوسطى أو السفلى الاجتماع في مطبخ الفندق لا سيما في فصل الشتاء حيث يستحب الدفء عند المساء . فألقيت في

(١) ملخصة عن الانكليزية بقلم زكي افندي حاتم من موظفي نظارة الاشغال العمومية بمصر

الحال الجريدة من يدي واتجهت في طريق المطبخ لانظر ذلك الجمع الذي علا ضجيج سرورهِ وضحكهِ . فرأيت فيهِ بعضاً من المسافرين الذين قدموا قبلي بساعات وغيرهم من المقيمين في الفندق وكانوا جالسين الى موقدٍ عظيم فوقهُ عدةٌ من آنية المطبخ وكلها نظيفة لامعة وفي وسطها ابريق شاي كبير جدًّا من النحاس الاصفر وفي اعلى الغرفة قنديل ينبعث منهُ نور ساطع يضيء على الجماعة فتظهر للعيان هيئة الافراد وبعضها من الغرابة بمكان . وكان في ذلك الجمع فتاةٌ هولندية حسناء يزين آذانها قرطان من الذهب وفي عنقها عقد يتدلى منهُ قلب من الذهب ايضاً وهي التي ترأس الحفلة . وكان اكثر الحضور يدخنون في غلايين وكثيرون منهم يتناولون شراباً طيباً . وقد لاحظت ان السبب في سرورهم هذا ما يقصهُ عليهم من نوادره الغرامية شابٌّ فرنسوي اسمر اللون نحيف الجسم كبير الشاربين وفي نهاية كل حكاية يستغرق الجميع في الضحك . فلم أرَ بدًّا من الانضمام اليهم لاني لم اجد طريقة اخرى لقضآء تلك الليلة المملة فجلست بالقرب من الموقد لسماع احاديث المسافرين التي كان بعضها يفوق حد التصور واغلبها مما تضيق لهُ النفس لسخافتهِ . ولقد نسيت اغلب تلك الاقاصيص ما عدا واحدةً منها رسخت في ذهني وسأوردها هنا . غير اني اخشى ان يكون ما وجدتهُ فيها من الطلاوة ناشئاً عن طريقه سردها وما اتصف بهِ راويها من حسن الالقآء وهو رجل ممتلئ الجسم طاعن في السن من اهالي سويسرا يظهر عليهِ انهُ ساح طويلاً فرأى كثيرًا . وكان مرتدياً سترةً خضرآء ومتنطقاً بزنارٍ عريض يتلوهُ لباسٌ تزينهُ ازرارٌ عديدة . وهو اسمر الوجه عريضهُ غليظ الذقن اقنى الانف برّاق العينين خفيف الشعر على رأسهِ قبعة عتيقة من القطيفة الخضرآء تميل لاصقةً على الجانب . وكان قدوم المسافرين يقطع عليهِ الكلام تارةً وما يبديهِ السامعون من الملاحظات يقطعهُ عليهِ تارةً اخرى وقد يقف فجأةً عن الحديث لحشو غلونهِ وهي فرصةٌ تمكنهُ من النظر الى خادمة المطبخ بعبنٍ ملؤها الخبث ويعقب ذلك مزاحٌ حشوهُ المكر . ولقد كنت اودّ ان يرى القارئ الكريم محدّثي هذا وهو عارق في كرسيهِ الكبير ومتكئ على احدى ذراعيهِ وبيدهِ غليون مضفور

*

الشكل محلى بعروق الفضة واشرطة الحرير وهو يقص الحكاية التالية وهي هذه

كان في قديم الزمان قصرٌ فخيم قائم على قمة جبلٍ من جبال اودنولد وهي ناحية مقفرة من بلاد جرمانيا العليا وكان يسكن ذلك القصر رجلٌ من الاشراف يدعى البارون ڤون لندشورت . وقد طمس الدهر آثارهُ وغشيتهُ الاشجار والادغال البرية فعفّت معالمهُ ولم يبقَ منهُ سوى البرج المطلّ الذي لم يزل الى الآن رافعاً رأسهُ الى العلآء وهو يشرف على سهل قريب وكأنهُ ينازل الدهر ويصارع الايام كما كان ينازلها صاحبهُ . وكان ذلك البارون آخر خلفٍ لأُسرةٍ كريمة الحسب عريقة النسب ورث عنها مع المال والعقار كل ما اتصف بهِ اجدادهُ من الكبريآء والعظمة . على ان الحروب التي كان اسلافهُ يثيرونها اضاعت معظم املاك اسرتهِ الا ان البارون كان لا يألو جهدًا في القيام بمظاهر الرفعة والجاه التي كان عليها اجدادهُ . وكان السلم حين ذاك ناشرًا اعلامهُ ولذلك هجر شرفآء الالمان قصورهم القديمة التي لم تعد تليق بمقامهم السامي لانها كانت اشبه بأعشاش النسور فوق اعالي الجبال وشادوا لانفسهم صروحاً فخيمة في الاودية والسهول . بيد ان البارون كان لا يزال متحصناً في قلعتهِ الصغيرة المنيعة ولم يكن لهُ همٌّ سوى الاطلاع على اخبار الحروب والمنازعات التي كان اجدادهُ يديرون رحاها بين الاسر الشريفة ولذلك كان مبتعدًا عن بعض جيرانهِ الاقربين بسبب مخاصمات كانت قد حدثت بين اجدادهِ واجدادهم

ولم يُرزَق البارون سوى ابنةٍ وحيدة الا انها كانت درة يتيمة وقد قام بتهذيبها وتثقيفها عمتان لها كانتا لا تزالان غير متزوجتين وقد قضتا شطرًا من شبيبتهما في بلاط احد امرآء الالمان فكانتا عارفتين بجميع الآداب اللازمة لتربية سيدة شريفة وقد اقتبست ابنة البارون من تعاليمهما ما جعلها في درجةٍ من الكمال لا يجاريها فيها احد . ومع ان البارون لم يرزق من الاولاد سوى هذه الابنة فانهُ كان واسع الرحاب يضم ناديهِ كثيرين من الاصحاب والاقربآء المعوزين فكأن العناية بخلت عليهِ بكثرة النسل واعاضتهُ ما يشتهيهِ من الاهل والصحب . وكان اغلب اولئك في ضيق من العيش فكانوا يغتنمون الفرص كلما سنحت ويفدون جموعاً ووحداناً الى القصر

فيحيون دارس اطلالهِ ويعيدون اليـهِ سابق عزهِ وجلالهِ من فضل البارون ووافر كرمهِ . فاذا حلت الاعياد جآءوهُ بقلوب فرحة وثغور بواسم فيتم الاحتفـال على ايديهم ولا يدّخر شيئاً لارضآئهم فيأكلون مريئاً ويشربون هنيئاً وهم يرون انهُ لا شيء في الدنيا ابهج واحلى من تلك الاجتماعات الاهلية التي يودّعونها سنةً ويستقبلونها اخرى . وكان البارون قصير القامة الا انهُ كان كبير الهمة كريم النفس ممتلئاً غبطةً لعلمهِ انهُ اعظم رجل في ذلك العالم الصغير الذي يحيط بهِ . وكان شديد الولع بسرد الاقاصيص عن اولئك الفرسان الصناديد الذين عاشوا في الازمان السالفة وكانت صورهم معلقة على الجدران وهي تنظر بوجوه عابسة . وكان لا يجد اكثر اصغآءً لحديثهِ من الذين كانوا يأكلون على نفقتهِ وكان شديد الميل الى سماع الحوادث الغريبة المدهشة يعتقد بجميع الروايات الخارجة عن حدود التصور والتي لا يخلو منها جبل أو وادٍ ببلاد جرمانيـا . وكان اعتقاد ضيوفهِ في تلك الحكايات يفوق اعتقادهُ فانهم كانوا يصيخون لتلك الخرافات وكلهم آذان واعية ولا يقصرون عن ابدآء استغرابهم ولو أُعيدت الحكاية مئة مرة . فهكذا كان يقضي البارون ڤون لندشورت ايامهُ وكان اذا تكلم على المائدة عُدَّ كلامهُ وحياً منزلاً واذا ذهب لتفقد اراضيهِ كان ملكاً معظماً ولكنهُ فوق ذلك كلهِ كان يعتقد في نفسهِ انهُ احكم رجل على وجه البسيطة واعتقادهُ هذا كان يجعلهُ اسعد الناس

قال الراوي وحدث في ابان ذلك الوقت اجتماع عظيم في القصر حضرهُ جميع الاهل والاقارب للاهتمام بمسألة من اهمّ المسائل الا وهي اعداد المعدّات اللازمة لاستقبال خطيب ابنة البارون . وكانت قد سبقت المفاوضات بين ابي الفتاة وامير طاعن في السن من اشراف باڤاريا في شأن قران ولديهما وقد تمت رسوم الخطبـة على ما يليق بذينك البيتين الكريمين غير ان الخطبة عُقدت بدون ان يرى العروسان بعضهما بعضاً . وقد حُدّد يوم الزفاف واستُقدم الكنت ڤون ألتنبرج الشاب من الجيش لذلك الغرض ووردت منهُ رسائل عديدة تنبئ بوصولهِ الى بلدة ورتزبرج ويذكر فيها اليوم والساعة اللذين ينتظر قدومهُ فيهما . فكان القصر في حركة

واستعدادٍ عظيم لاستقبال الكنت استقبالاً باهرًا بالغًا حد النهاية من الابهة والجلال اللائق بمقامهِ السامي . اما العروس فقد زينت زينة فاخرة فوق ما هي عليهِ من الجمال الباهر وقد تولت عمتاها اعداد ما يلزمها من الحلى والحلل وتخير انواع الجواهر وضروب المصوغات حتى جاءت زينتها فائقة الوصف لم ترَ العين اجمل منها

ولم يكن البارون بأقل اهتماماً من بقية اهل البيت وعلى الحقيقة انهُ لم يكن لديهِ شيء يفعلهُ غير انهُ كان بالطبع سريع التأثر محبًّا للحركة فلا طاقة لهُ على السكوت اذا كان جميع الناس في شغل . فكان يتفقد جميع انحاء القصر وعلى وجههِ سمات الضجر والقلق فيدعو اليهِ الخدم في اثناء العمل ليحثهم على الاسراع وكان صوتهُ يدوي في جميع الغرف والردهات كالنحلة الزرقاء في يوم قيظ لا يقرّ لها قرار ولا يسكن لها طنين

و بينما هم في انتظار الخطيب ذُبحت الذبائح وطاف الصياديون في الغابات لصيد ما عز وطاب فضاق المطبخ على رحبهِ بأنواع المأكولات الشهية . اما عن الخمور المعتقة والمشروبات الفاخرة على اختلاف انواعها فحدث ولا حرج فقد أُعد كل شيء لاستقبال الضيف الكريم بما جبل عليهِ اشراف جرمانيا من كرم الطباع . ولكن الضيف ابطأ في الحضور فمرت الساعات تباعاً ومالت اشعة الشمس التي كانت ناشرة رداءها الذهبي فوق الغابات والغياض حتى توارت اخيرًا ورآء قمم الجبال . فحار البارون في امرهِ وصعد الى اعلى برج في قصرهِ وحدّق بنظرهِ في الفضاء لعلهُ يرى الكنت قادماً عن بُعد هو واتباعهُ . وكان نور الشفق على وشك الزوال وقد بدأت طيور الليل سيرها المعتاد ثم خيم الغسق وكادت الطريق تختفي عن الابصار ولم يعد يرى فيها شبحاً يتحرّك سوى البعض من الفلاحين راجعين الى منازلهم للراحة بعد عناء الاعمال

و بينما كان الاضطراب والقلق مستولبين على اهل القصر اذ جرت واقعة ذات بال في جهةٍ اخرى من تلك الجبال . وذلك ان الكنت فون ألتنبرج وهو الخطيب الشاب كان قادماً نحو خطيبتهِ آمناً مطمئنًّا يسير على مهل كرجلٍ وجد

من الانسبآء مَن اخذوا على عاتقهم مهمة انتقآء الزوجة وعقد الخطبة فكان واثقًا ان خطيبتهُ بانتظارهِ كما يثق المرء من طعام يجدهُ عند رجوعهِ الى منزلهِ بعد سفرٍ طويل . فصادف في طريقهِ الى بلدة ورتزبرج شابًّا من رفقآئهِ في الحرب اسمهُ هرمن ڤون ستاركنفوست وكان راجعًا من ساحة الوغى بعد ان خاض غمارها وقصر ابيهِ لا يبعد كثيرًا عن قصر البارون غير ان المخاصمات القديمة التي كانت بين اسرتهِ واسرة البارون قطعت اوصال كل رابطةٍ بين الاسرتين فعاشت كل واحدة منهما بمعزل عن الاخرى

فلما اتصلت المعرفة بين هذين الشابين اخذ كلٌّ منهما يقصّ على صاحبهِ ما حدث لهُ من الاهوال والمخاطر وما صادفهُ من الشدة والرخآء فقص الكنت على رفيقهِ جميع تفاصيل زواجهِ الغريب وخطبتهِ لفتاةٍ غضة الشباب لم يكن قد رآها بعد بل سمع بأوصافها التي يصاغ فيها من المديح قصائد . ولما كانت وجهة هذين الفارسين واحدة اتفقا على ان يسيرا معًا بقية سفرهما فغادرا مدينة ورتزبرج مبكرين حتى لا يضطرّا الى الاسراع في الطريق واصدر الكنت اوامرهُ الى اتباعهِ ان يأتوا بعدهُ ثم يلحقوهُ . فكانا يقطعان طريقهما في سرد اعمالهما الحربية وما شاهداهُ من المواقع وحدث لهما من النوادر . وما زالا يتجاذبان اطراف الحديث وينتقلان فيهِ من قديم الى حديث حتى توغلا في جبال اودنولد وعبرا طريقًا منفردة وسط اشجار غابة كثيفة . ومن المعلوم ان غابات جرمانيا كانت ملأى باللصوص وقطاع الطرق كما كانت قصورها مسكونة بالخيالات والجن . وكان اللصوص في ذلك الحين منتشرين في طول البلاد وعرضها يعيثون فيها فسادًا فلا غروَ اذا فاجأ هذين الفارسين في وسط تلك الغابة الملتفة جماعة من اولئك القوم اللئام . فدافعا عن انفسهما دفاع الابطال حتى خارت قواهما واذ ذاك وصلت حاشية الكنت فلاذ اللصوص بالفرار ولكن بعد ان جرحوا الكنت جرحًا مميتًا . فحملوهُ على الاكتاف والاعناق قافلين الى مدينة ورتزبرج واستدعوا لهُ في الحال راهبًا من احد الاديار القريبة من المشهود لهم بالبراعة في تطبيب الروح والجسد معًا . ولكن ذلك الراهب لم يحتج معهُ الا الى

احد شطري براعتهِ فان ساعات الكنت كانت معدودة . ولما شعر بدنو اجلهِ دعا اليهِ صديقهُ وتوسل اليهِ ان يذهب في الحال الى قصر لندشورت ويقص عليهم واقعة الحال ويبلغهم سلامهُ واعتذارهُ . فأخذ صديقهُ يطيب خاطرهُ بعذب الكلام ويحيي في فؤادهِ ميت الآمال ووعدهُ وعدًا صادقًا ان يعمل بما اوصاهُ بهِ واعطاهُ يدهُ ميثاقًا على ذلك فضمها الكنت وهو في حالة النزع دليلاً على شكرهِ لهُ . ثم ما عتم ان انتابتهُ نوبة الهذيان فجعل يهذي بذكر حبيبته وبوعودهِ وعهودهِ وهمّ بطلب جوادهِ ليمتطيهُ ويذهب في الحال الى قصر لندشورت ولكن خانتهُ قواهُ وهو يحاول في الحلم تسنم السرج وفاضت روحهُ الى خالقها

فتنهد الرفيق الصديق عن احرّ من الجمر وبكى بكآء الشحعان على حظ ذلك الكنت التعِس الذي قصفت المنية غصن شبابهِ الرطيب وحرمتهُ سعادة الحياة . ثم اخذ يفكر في تلك المهمة المشؤومة التي اخذ على عهدتهِ القيام بها فضاق صدرهُ وضاع رشدهُ لانهُ مضطرٌّ ان يذهب بنفسهِ ضيفًا ثقيلاً بين قوم معادين ويلقي على مسامعهم ذلك النبأ السيئ فيبدل افراحهم اتراحًا ونعيمهم بؤسًا

ولنرجع الى حديث تلك الاسرة القديمة اسرة العروس التي كانت تنتظر على مثل الشوك قدوم ضيوفها الكرام للجلوس على تلك الموائد الفاخرة التي كانت أُعدت لذلك الاحتفال وتشاهد البارون الفاضل الذي تركناهُ يرصد من اعلى البرج قدوم ضيوفهِ . فلما سدل الليل جلبابهُ ولم يطرق الباب طارق هرول نازلاً من مرصدهِ وسمات الكآبة واليأس بادية على محياهُ . ولم يعد في الامكان تأخير الوليمة اذ مضى على الميعاد المضروب بدل الساعة ساعات فكانت اللحوم قد بلغت اقصى درجات النضج والطهاة قد عيل صبرهم وخلاصة القول ان جميع من في القصر كانوا اشبه بحرس اضناهُ الجوع واستولى عليهِ الضجر والقنوط . فاضطر البارون اخيرًا بالرغم عنهُ ان يأمر بمدّ الموائد ولو لم يحضر الضيوف فجلس الجميع للطعام . وبينما هم على وشك الشروع في الاكل اذ سُمع صوت بوق من خارج الباب الكبير مؤذنًا بقدوم غريب وتبع ذلك نفخة بوق ثانية ملأت الاسماع ودوى صداها في جميع انحآء

القصر . فاسرع الحارس بالجواب من اعلى الاسوار وللحال هرع البارون لاستقبال خطيب ابنته . فوصل الغريب الى الدار وكان فارساً جميلاً طويل القامة ممتطياً جواداً اسود غير انهُ كان ممتقع اللون مع حدة في النظر ذات معنى خفي ودلائل السآمة والكآبة ظاهرة عليهِ كمن يفكر في امر ذي بال . فاستآء البارون اذ رآهُ في ذلك الزيّ البسيط وليس معهُ حاشية ولا خدم وتبادر الى وهمهِ ان الفارس يسخر بهِ و بالاسرة المجيدة التي جآء يخطب ودها وقرابتها اذ لم يراعِ المقام ولم يحفل بالعرس . غير انهُ عاد فلام نفسهُ على ذلك الظن وحمل هذا الصنيع من الفارس على نزق الشباب وعظيم شوقهِ الى رؤية من يهواها فتقدم عن اتباعهِ واقبل منفرداً

و بينما كان البارون يفكر في ذلك خاطبهُ الفارس قائلاً انهُ ليسوءني ان احضر في وقت غير ملائم كهذا . فقاطعهُ البارون بعبارات التشكر ورحب بهِ احسن ترحيب اذ كان على الحقيقة ذا ادبٍ وظرف مع فصاحة لسان يفتخر بها على الدوام. فحاول الغريب مراراً ان يستوقف سيل حديثهِ المنهمر ليبلّغهُ رسالتهُ ولكن على غير جدوى فاضطرّ اخيراً ان يطرق برأسهِ ولا يعارض التيار في سيرهِ . ولما وقف البارون عن الكلام هنيهةً ليستريح وكانا قد وصلا الى داخل القصر اراد الغريب ان ينطق بما يكنهُ ضميرهُ ولكنهُ ما لبث ان عاد الى السكوت عند ما رأى ربات المنزل قادمات اليهِ و بصحبتهنّ العروس وهي تضطرب وقد صبغ الحيآء وجنتيها فحدّق بنظرهِ اليها وهي تميس كغصن البان فهت لجمالها الفتان واحس في الحال بان تلك الغادة الحسنآء قد ملكت لبهُ وسبت فؤادهُ . ثم التفتت احدى عمتيها نحوها وأسرّت كلمات في اذنها فاجهدت نفسها للكلام ورفعت طرفاً ذابلاً ملؤهُ الحيآء ووجهتهُ بخجل نحو ذلك الغريب لتفحصهُ ثم اطرقت الى الارض ولم تستطع ان تفوه ببنت شفة ولكن ثغرها العذب افترّ عن ابتسامةٍ كانت من الشهود العدول بانها سرت لرؤية ذلك الشاب ومال فؤادها اليهِ . وكان قد مضى الهزيع الاول من الليل فلم يكن ثمّ مجال للحديث فتقدم البارون وطلب ارجآء ذلك الى الغد ودعا الجمع الى الوليمة التي لم تكن مُدّت اليها يدٌ بعد وقد أُعدت في ردهة القصر

الكبرى وكانت صور ابطال ذلك البيت الكريم معلقة على الجدران وبجانبها شعارات غزوهم في الحرب والصيد . اما الفارس فانهُ لم يحفل كثيرًا بمضيفيهِ ولم يشاركهم في فرحهم وقلما ذاق شيئاً من الطعام بل كانت كل افكارهِ متجهة نحو محبوبتهِ البديعة وكان يظهر لها من الانعطاف الممزوج بالوقار واللين المقرون بعزة النفس ما أسر فؤادها وملك قيادها . فكانت وجنتاها يعلوهما الاحمرار تارةً وطورًا وهي تصغي اليهِ بكل انتباه وتجاوب احياناً على اسئلتهِ مع الخجل الزائد . واستمر القوم في جذل وضجيج ما عليهما من مزيد لان ضيوفنا الكرام كانوا من ذوي النهم الشديد الذي يصيب فارغي الجيوب وساكني الجبال ولم يذّخر البارون شيئاً من القصص الفكاهية والنوادر الغريبة الا رواهُ واطال في شرحهِ . وكانوا اذا حدثهم بشيء عجيب اعترتهم الدهشة والاستغراب واذا جآءهم بملحةٍ مضحكة استغرقوا في الضحك. وظل الجميع في فرح ومرح الا الغريب فان ثغرهُ لم يفترّ عن ابتسامةٍ واحدة بل كان يزداد عبوساً وانقباضاً وقد ظهرت عليهِ دلائل الضجر والملل التي كانت تزداد وضوحاً بمرور الساعات وكلما كان البارون يسترسل في المزح كان هو يتمادى في الكآبة والقلق غارقاً في بحار الافكار وبعد ان كان يحادث العروس بانشراح صدر اصبح كلامهُ معها جافياً فقطبت للحال حاجبيها وسرت في ذلك الجسم اللطيف رعشة لم تخفَ عن اعين الحاضرين فسكن جأش سرورهم اذ لم يفقهوا معنى او يجدوا سبباً لذلك الانقلاب الغريب . وروى البارون حكايات مختلفة منها حكاية الفارس الشيطان الذي اختطف ليونورا الجميلة وهي قصة فظيعة ولكنها حقيقية قد نظمت من ذلك الوقت شعرًا فيقرأها الناس اجمع لطلاوة شعرها ويصدقون كل ما جآء فيها

وكان الغريب يصغي لتلك الحكاية شاخصاً بنظرهِ الى البارون ولما انتهت القصة نهض من مكانهِ وتنفس الصعدآء ثم ودع الحضور وهمّ بالخروج . فذهلوا لذلك المنظر وكأن صاعقة انقضّت على البارون فصاح قائلاً ما هذا وما الذي ارى أيريد ان يغادر القصر وقد تناصف الليل وكل شيء مهيّأ لاستقبالهِ على الرحب والسعة . فهزّ الغريب رأسهُ بحزن وسكون ثم حيّا الجمع يميناً وشمالاً وخرج فسار البارون

ورآءهُ حتى اوصلهُ الى ساحة القصر الخارجية حيث كان جوادهُ. بانتظارهِ ولما قربا من الباب الخارجي وقف الغريب وخاطب البارون بصوتٍ عميق جعلتهُ وحدة ذلك المكان اشبه بصوتٍ خارج من القبور وقال لهُ نحن الآن وحدنا لا ثالث معنا فاريد ان اوضح لك سبب ذهابي فاعلم انني وعدت وعدًا صادقًا وانا لست ممن يخلفون وعدهم و . . . . فاجابهُ البارون للفور ولكن الا تقدر ان ترسل مَن يقوم مقامك . فقال الغريب ان الامر لا يحتمل الانابة بل يجب ان اذهب بنفسي الى كنيسة ورتزبرج الكبرى . فقال ولكن الا تنتظر الى الغد فتذهب الى الكنيسة بعروسك . فقال الغريب لا لا ان وعدي ليس مع عروس تصحبني بل النعش ينتظرني وحدي فانا رجل ميت وقد قُتلت بخناجر اللصوص وجثتي الآن موجودة في ورتزبرج وموعد دفني في نصف الليل تمامًا . ثم وثب فوق ظهر جوادهِ وما عتم ان غاب عن الابصار . فرجع البارون الى ردهة الاجتماع وقد طار فؤادهُ شعاعًا ثم قص ما رأى بعينيهِ وسمع باذنيهِ واذ ذاك أُغمي على سيدتين وفزع الباقون فزعًا شديدًا عند ما علموا انهم نادموا خيال رجل من عالم الاموات وكثرت بينهم التأولات والظنون وجعلوا يخوضون فيما يكون وما لا يكون

ولما كان الغد وردت على البارون الرسائل من ورتزبرج تثبت قتل الكونت الشاب والاحتفال بدفنهِ في كنيسة المدينة فعم حينئذٍ الحزن جميع سكان القصر وكبر عليهم الخطب . اما البارون فانهُ اعتزل في غرفتهِ الخصوصية ولم يقابل احدًا او يقبل عزآءً واما العروس التي قضى عليها نكد الطالع ان تترمل في ابان شبابها فكانت في حالة يرثى لها من الغم والكدر وقد ملأت القصر بنواحها ونحيبها ولم يبقَ احد الا ورثى لحالها ورقّ لمصابها

وفي مسآء اليوم التالي لترملها احتجبت في مقصورتها ولم تسمح لاحد بالبقآء معها سوى احدى عمتيها التي الحت ان تنام معها . وكانت تلك العمة من اشهر قصاصي حكايات الجن في جرمانيا فاخذت تقص عليها قصةً من اطول قصصها الا انها لم تكد تصل الى نصفها حتى غلب عليها النعاس فنامت . وكانت غرفتها بمعزل عن

بقية الغرف وهي تشرف على حديقة صغيرة فاتكأت الفتاة الحزينة على مسند لها واطلقت لافكارها العنان وهي تنظر الى ضوء القمر المشرق على الاشجار وقد دقت ساعة القصر معلنة ان قد تناصف الليل . وحينئذٍ سُمع صوت نغم موسيقي آتٍ من الحديقة فنهضت في الحال ومشت نحو النافذة بخفة ورشاقة ولما اطلت منها رأت شبحًا طويلاً واقفًا بين ظلال الاشجار فلما رفع رأسهُ اضآء نور القمر محياهُ فاذا هو خيال خطيبها . وفي الوقت نفسهِ قرع اذنها صرخةٌ هائلة وهي صرخة عمتها فانها كانت قد استيقظت على صوت الموسيقى وتمشت نحو النافذة فلما رأت الشبح صرخت وسقطت بين يديها . ولما نظرت ثانيةً الى الحديقة كان قد غاب الشبح

ولما افاقت العمة من ذهولها اقسمت ان لا تنام مرة اخرى في تلك الغرفة واما الفتاة فصممت كل التصميم ان لا تنام في غير تلك الغرفة من القصر فكانت بعد ذلك تنام فيها وحدها لكنها اخذت على عمتها عهدًا ان لا تذكر قصة الخيال لاحد لئلا تحرم ايضاً تلك اللذة المحزنة التي بقيت لها في الحياة الدنيا ألا وهي اقامتها في الغرفة التي يطوف حولها خيال حبيبها في الليل ساهرًا عليها كملكها الحارس

ومع ولوع تلك العمة باخبار الغرائب فانها خالفت سنة النسآء وكتمت امر تلك الحادثة اسبوعًا كاملاً كما يذكر ذلك جيرانها الى الآن حتى حدث ما جعلها بغتةً في حلٍّ من وعدها واباح لها افشآء ما كان يكنهُ ضميرها . وذلك أن داهم سكان القصر وهم يتناولون طعام الصباح خبر اختفآء الشابة الحسنآء فانها لم توجد كالعادة في غرفتها ولم تنم في فراشها بل كانت النافذة مفتوحة والطائر خارج القفص

وهنا يعجز القلم عن وصف ما اصاب القوم من الدهش عند ما بلغهم ذلك الخبر المشؤوم وفيما هم على هذه الحالة وهم مبهوتون من الحزن والغم اذ ضمت العمة يديها كمن يستغيث وقد كان المصاب ألجم لسانها ثم صرخت قائلةً الجنّ . الجنّ . ان الجن قد اختطفتها . ثم قصت بعبارة وجيزة حادثة الحديقة المخيفة واستنتجت من ذلك ان الخيال لا بد ان يكون قد اختطف عروسهُ . وعضدها في زعمها هذا اثنان من الخدم حققا انهما سمعا وقع حوافر جوادٍ نازل من الجبل في منتصف الليل

ولا شك عندهما ان ذلك كان الخيال بعينهِ وانهُ اختطف سيدتهم ليذهب بها الى القبر . فمال اغلب الحاضرين الى تصديق تلك الاقاويل لتعدد الحوادث التي من هـذا القبيل في بلاد الالمان فيصدقها الناس كما يصدقون الحوادث التاريخية ذات الشهود العدول

اما عن حزن البارون وغمهِ فلا تسل فانهُ قد ايقن ان ابنتهُ الوحيدة فلذة كبدهِ وحشاشة قلبهِ لا بد ان يكون قد اصابها احد خطبين فاما انها اصبحت من سكان القبور او انهُ صاهر احد الجن من سكان الغابات وربما اصبح جدًّا لزمرةٍ من صغار العفاريت . ففزع لهـذا الفكر فزعًا شديدًا كما هي عادتهُ وامر رجالهُ ان يمتطوا خيولهم في الحال ويفتشوا في جميع الطرق والمفارق وبطون الاودية لعلهم يقفون على اثر سيدتهم . ولم يطق هو نفسهُ الانتظار فاحتذى حذآءهُ الطويل وتقلد سيفهُ البتار وتحفز لركوب جوادهِ المطهم للبحث عن ضالتهِ المنشودة ودرّتهِ المفقودة واذا بشبح قادم عن بعد استوقف بصرهُ واضطرّهُ للانتظار قليلاً . ولم تكن الا طرفة عين حتى ظهرت سيدة راكبة فرسًا جميلاً وبجانبها فارس على صهوة جوادهِ وهما يقصدان القصر . اما السيدة فانها اخذت تعدو عدوًا حثيثًا نحو الباب الكبير حيث كان البارون واقفًا حتى اذا وصلتهُ ترجلت في الحال ثم انطرحت على قدميهِ وقبلت ركبتيهِ فاذا هي ابنتهُ المفقودة ورفيقها « الزوج الخيالي ». فاعترت البارون الدهشة وتلعثم لسانهُ وكان ينظر تارةً الى ابنتهِ وطورًا الى الخيال وظن نفسهُ في اضغاث احلام . وقد ظهر الخيال في عينيهِ هذه المرة احسن هنداماً والطف منظرًا من قبل فان لباسهُ كان فاخرًا ولم يكن في وجههِ اثر لذلك الاصفرار او لتلك الكآبة التي كانت تلوح في السابق عليهِ بل كان جمال طلعتهِ يمثل شبابًا غضًا وعيناهُ السوداوان الواسعتان تنبعث منهما اشعة الفرح والسرور

ولم يبقَ حين ذاك محل للكتمان فان الفارس الذي لم يكن في الحقيقة جنيًّا كما ظهر من سياق الحديث عرَّف البارون بانهُ السر هرمن ڤون ستار كنفوست ثم قص ما اتفق لهُ مع ذلك الكنت الشاب الذي اغتالتهُ ايدي اللصوص الاثيمة وكيف

اسرع الى القصر ليخبر بواقعة الحال ويعلن النبأ المشؤوم الا ان فصاحة البارون وطلاقة لسانهِ منعتاهُ عن سرد حكايتهِ . وكيف اسرت العروس فؤادهُ وملكت حواسهُ حتى لم يعد ينتبه الى مجاملة اهل القصر . ثم كيف حار في امرهِ لما اراد الانصراف ولم يدرِ كيف يسوغ لهُ ان يترك ذلك المحفل الحافل واي الاعذار يبدي كي لا يخل بآداب السلوك حتى انتشلهُ البارون نفسهُ من تلك الورطة بما قصهُ عليهِ من حوادث الجن والعفاريت فهي التي اوحت اليهِ سبيل الانسحاب على تلك الصورة الغريبة . ثم انهُ خوفاً من التعرض لغضب اسرة البارون وانتقامها كان يزور القصر خلسةً ويتردد على الحديقة التي تشرف عليها نافذة الغادة الحسناء تحت جنح الظلام حتى استمالها وفاز برضاها وفرّ بها على اجنحة الفوز هارباً ثم عقد عليها واصبحت حليلتهُ

ولو اتفق للبارون ذلك في احوال غير هذه لما قبل شفاعةً لانهُ كان صعب المراس غيورًا على سلطتهِ الابوية شديد التمسك بامر الضغائن القديمة ولكنهُ فوق ذلك كلهِ كان يحب ابنتهُ حبًّا شديدًا وقد انتحب لفقدها فسرّ لرؤيتها حيةً وحمد الله على ان زوجها لم يكن من طائفة الجنّ ولو كان من اسرةٍ معادية لأسرتهِ

ولما انجلت تلك الوساوس ولم يبقَ ما يوجب الابتئاس صفح البارون عن الزوجين الشابين لساعتهِ واعيدت مجالي الانس في القصر وطفق اقارب البارون يجلّون ويكرمون ذلك العضو الجديد في العشيرة ويكثرون من التودد اليهِ والاعجاب بهِ لانهُ كان معدن ظرف وادب كريم الطباع واسع الثروة . ولم يشقّ ذلك الحادث الاّ على احدى عمتي العروس لضياع قصتها الغريبة ولا سيما وان ذلك الخيال كان الخيال الوحيد الذي رأتهُ في حياتها وقد تبين لها انهُ لم يكن خيالاً حقيقيًّا . اما العروس فسرّت سرورًا عظيماً اذ وجدتهُ كان انسانًا لا خيالاً وقد شفع عندها آخر ذلك الحادث في اولهِ وانستها حلاوة العاقبة ما لقيتهُ من المرارة السابقة